كتب الأطفال والترجمة

د. سامية توفيق سليم

مترجمة الأدب الروسى وناقدة

تعد الترجمة نوعًا من أنواع الإبداع الشخصى، والحس اللغوى، انطلاقًا من إجادة لغة الآخر، مثلها، فى ذلك، مثل التأليف الذى يخرج من الوجدان.

وعادة ما تتفق الذات البشرية مع بعضها البعض فى كل المجتمعات عندما تجتمع على قيم الخير والجمال، وتمثل الثقافة حلقة الوصل بين الأجناس المختلفة، وبها تنتقل الثقافات والحضارات المختلفة بين الشعوب، فى اتجاهات فكرية متبادلة.

تعتمد دقة الترجمة بصفة عامة على إتقان اللغتين المترجم منها وإليها. وما يتوافق مع لغة، يختلف مع الأخرى، فعليه، ومن خلال إتقانه للغتين أن يفتح رموز اللغة المترجم منها وإليها، لأن لكل لغة قوالبها ومدلولاتها الخاصة بها.

تسمح الدقة للقائم بالترجمة على صياغة مشروعه الحضارى بصورة تحمل روح النص الأصلى، ونظرًا لأن العالم يعيش فى بوتقة واحدة، حيث أسهمت السموات المفتوحة والشبكة العنكبوتية إلى نمو التفاعل الثقافى، وبالتالى أصبح المُترجم مطالب أكثر من ذى قبل بضرورة تحرى الدقة، لأن العلاقات بين الشعوب تعتمد على خلفية معرفية، بعكس الماضى، ومن هنا يستطيع القارئ فى أحايين كثيرة من تقييم دقة الترجمة بنفسه، لأنه عرف بعضًا من عادة وقيم الشعوب المنقول عنها النص الأصلى.

والترجمة كعمل انتقائى يلزمه الدقة والأمانة فى نقل اللغة المترجم منها إلى اللغة الأم والعكس. ويجب على المترجم أن يتمتع بدرجة كبيرة من معرفة أصول اللغويات وثقافات كثيرة متنوعة، لأنه يضيف كل ما هو جديد فى عالم المعرفة.

وتُعد الترجمة للطفل من أصعب عمليات الترجمة، لما تحمله من مسئولية كبيرة تجاه مراعاة أذواق الصغار، وبما يتفق مع قيم البناء الحضارى، فعلى المترجم أن يختار كل ما يتوافق وتقاليد وعادات وأعراف المجتمع الذى يعيش فيه.

ومن ثَّم تأتى أهمية الانتقاء فى ترجمة أدب الطفل، بكل أشكاله، وعندما يتأكد المترجم الفنان من ملائمة الجنس الأدبى للطفل تأتى الخطوة التالية فى العمل وهى الترجمة.

ومن هنا نجد أن احتياج الأطفال دون سن المراهقة يختلف من مرحلة لآخرى، فالطفولة المبكرة تعتمد على الصورة، والكلمات القليلة، والطفولة المتوسطة تتطلب تنمية الخيال، والطفولة المتأخرة تتطلب مخاطبة العقل والخيال فى آن واحد، لأن هذه المرحلة تتميز بأن الإدراك والوعي لدى الطفل فى طور النمو المستمر، وبالتالى يجب أن يكون المضمون الإيجابى هو الفيصل، حتى يؤسس الأدب فى بواكيره الأولى على الخير والسلام.

يُبنى أدب الطفل على أسس تربوية غاية فى الدقة لضمان زرع القيم السليمة فى كل مرحلة من مراحل الطفولة.

يجب أن تقترن المتعة فى أدب الطفل بالتنمية السلوكية، والأخلاقية، حتى يقترن تشكيل شخصية الطفل وصفاته الحسية والنفسية، ببواعث التفكير السليم. ومن المناسب تنمية روح الإبتكار والإبداع والتخيل، والإحساس بالتذوق والجمال.

فإذا كان الأدب يقدم للطفل المتعة والتسلية، ويدخل فى نفسه الإحساس بالبهجة والسرور،

فمن الممكن من خلال القراءة لشتى صنوف الأدب زراعة المعايير الأخلاقية بين السطور بطرق غير مباشرة، ومن هنا يؤدي الاستماع إلى القصص، والحكايات، والأساطير من أولياء الأمور، أو دور الحضانة، والمدارس، والكتب المصورة، وأفلام الكرتون الجيدة، إلى توسعة أفق الخيال لدى الطفل.

تستهوى قصص الحيوانات والطيور والجماد، وأشخاصًا تتحدث وتتحرك وتتكلم انتباه الطفل، ولذا بات على المترجم معرفة كل ذلك حتى ينقل ما يناسب هذه الاحتياجات.

ولابد للمترجم أن يستخدم كلمات مبسطة ولغة فصحى مفهومة. تُحترم فيها عقلية الطفل ومراحل عمره. وتُنتقى الموضوعات الحيوية التى تشغل اهتمام الطفل.

يختار المترجم الكُتب الموجهة للطفل بعناية، بحيث تكتمل فيها كل المقومات اللازمة للنجاح، وبساطة وسيولة الترجمة تساعد الفنان على تغليف النص الأدبى بالصور والرسومات التوضيحية، وبما يناسب أعمار الأطفال.

المترجم الجيد يستطيع أن يلهم الرسام بأجمل وأروع الرسومات من خلال استيعابه الجيد للعمل وفهم المضمون والدخول فى أعماقه، واستخراج المعنى الباطن والمغزى المراد.

أما الحكى للطفل من خلال القصص المترجمة، لا ينجح إلا فى إطار صياغة أدبية دقيقة من المترجم، لأن القصص المحلية سهلة فى الحكي عن القصص المترجمة التى لا يمكن استخدامها في الحكى إلا إذا كانت مكتوبة بلغة محلية شديدة الوضوح.

وأرغب هنا و نحن نعيش فى آفاق الترجمة وأدب الطفل، أن أنوه عن أدب الطفل فى روسيا، حيث تولى الدولة اهتمامًا كبيرًا بالطفل والطفولة. وتهتم بترسيخ القيم التربوية السليمة للطفل من خلال تشجيع دور النشر الكثيرة والمكتبات فى كل الربوع والأنحاء.

وتاريخ ظهور أدب الطفل غير معلوم بالتحديد، لكنه ظهر تدريجيًا من جوف الإبداع الشعبى والفلكلور، والتراكمات على مدى الأزمنة والعصور، ومن خلال انتشار الحكايات والروايات والأساطير والأغانى فى سياق الحياة اليومية العادية، فقد ظهر هذا الأدب قبل ذلك بكثير من خلال الحكايات الشفهية، التى كانت ترويها الجدات للأبناء والأحفاد من نبع الخيال، ومن الطبيعة المحيطة ، والمآثر البطولية، والكتب المقدسة، والروايات التاريخية.

وتتميز الحكايات والقصص الروسية بأنها شيقة، حيث تحتوى على معالم الطبيعة الجغرافية الخلابة من الجبال والسهول ، وأيضًا الحكايات عن شعوب سيبيريا، التي أذهلت الجميع.

ومن أشهر الكُتاب ليو تولستوى ومامين - سيبيريال وغيرهم، وقد تأثر الأدباء الروس بالكثير من الحكايات التى كانت تقتبس من الغرب.

تأثر الروائى الروسي العظيم تولستوى (١٨٢٨ – ١٩١٠) بالتراث العربى وذكر فى كتاباته إعجابه بحكايات "علاء الدين والمصباح السحرى"، و "ألف ليلة وليلة"، و "وعلى بابا والأربعين حرامى"، وغيرهم من الكتب والكتاب للطفل.

والبطل فى القصص والحكايات الشعبية للطفل له مدلول معنوى وفكرى وأخلاقى كبير، وله تأثير مباشر على الطفل، لأنه هو الشخصية التى تمثل العمل. وتخرج بموضوع ما يعود على المتلقى دون جهد أو عناء، وترشده بأسلوب باطن المعنى إلى طريق الصواب.

وفى روسيا البطل فى الحكايات الشعبية متنوع الصور والأشكال : ممكن أن يكون بشرًا إنسانًا، أو حيوانًا، أو طائرًا، أو نباتًا، أو حشرة، أو جمادًا، يتحرك ويحكى ويشكو.

ومن صور الأبطال فى روسيا فى العصور القديمة والحديثة :

بابا – ياجا : وهى شخصية أسطورية. فى شكل سيدة عجوز محاطة بقوى سحرية. قبيحة الوجه. ترمز إلى إله الموت لها ذيل ثعبان وتعيش فى الممالك السفلية.

وبالدا – والجحيم : تعتبر بالدا البطل الرئيسى فى حكايات بوشكين. تجسد شخصية الشعب الروسي الكادح.

وبوراتينو – والسلحفاء توراتيلا : بوراتينو هو البطل فى حكايات أليكسيى تولستوى. وهى معالجة للحكاية الإيطالية "بينوكليو". والسلحفاء توريلا – هى شخصية ملحمية هامة فى الحكاية. وهبت بوراتينو المفتاح الذهبى السحرى. وفاسيليا الجميلة. وغيرها.

وفى العصر الحديث الكثير والكثير من الشخصيات، التى تبث روح القيم التربوية والأخلاقية فى نفوس النشء. منها شخصية الحصان الأعمى فى الأدب الشعبي الروسى، الذى أجبر صاحبه على رعايته حتى موته. وحلم حصان لدى المؤلفة الروسية ناتالى كورتوج، وكيف تتحقق للحصان أمنية. والبقرة موركا لأوسبينسكى، والتى أفسدت حفل عيد ميلادها. والفيل الصغير لتيسفروف وهو يبحث لنفسه عن وظيفة. وغيرها من كنوز الأدب الروسى للطفل.